الدرس السادس

الحساب

يشتدُ العطش بالناس يوم القيامة ، في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة ، إلا أنه يمر على المؤمن سريعا كأداء صلاة مكتوبة ، ويَرِدُ المسلمون حوض النبي - ﷺ - يشربون منه (والحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا ﷺ ، تشرب منه أمته يوم القيامة ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، ورائحته أطيب من ريح المسك، وآنيته بعدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا) ويبقى الناس في أرض المحشر زمنا طويلا ينتظرون الفصل بينهم والحساب ، فإذا طال بهم الوقوف والانتظار ، مع ما هم فيه من الشدة وحر الشمس ؛ التمسوا من يشفع لهم عند الله للقضاء بين الخلائق ، فيأتون آدم - عليه السلام - فيعتذر ، ثم يأتون نوحا - عليه السلام - فيعتذر ، ثم يأتون إبراهيم - عليه السلام - فيعتذر ، ثم يأتون موسى - عليه السلام - فيعتذر ، ثم يأتون عيسى - عليه السلام - فيعتذر ، ثم يأتون محمدا - عليه الصلاة والسلام - فيقول: ((أنا لها)) فيسجد تحت العرش ، ويحمد الله بمحامد يفتحها الله عليه في ذلك الموقف ، فيقال: ((يا محمد ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشفع تشفَّع)) فيأذن الله بالقضاء والحساب ، وأمة محمد هي أول من يحاسب.

أول ما يحاسب عنه العبد من أعماله الصلاة ، فإن صَلَحت وقُبلت نظر في سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله ، ويُسأل العبدُ عن خمس: عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به ، أما أول ما يُقضى فيه بين العباد ففي الدماء. والقصاص يومئذ يكون بالحسنات والسيئات، فيؤخذ من حسنات الشخص وتعطى لخصمه ، فإذا فنيت حسناته ، أُخذ من سيئات خصمه وطرحت عليه.

ويُنصب الصراط (وهو جِسرٌ أدقُّ من الشعر ، وأحدُّ من السيف ، يُنصب على متن جهنم) فيمر الناس من فوقه بقدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، وكالريح ، وكأجاود الخيل ، ومنهم من يحبو حبوًا ، وعلى الصراط كلاليب تأخذ الكفار وتلقيهم في جهنم ، ويتساقط الكفار ومن شاء الله من عصاة المؤمنين في النار، فأما الكفار فيُخَلدون في النار ، وأما عصاة المؤمنين فيعذبون ما شاء الله ، ثم يُخرجون إلى الجنة.

ويأذن الله لمن شاء من الأنبياء والرسل والصالحين أن يشفعوا لبعض من دخل النار من أهل التوحيد فيخرجهم الله منها ، ويقف من يجتاز الصراط - وهم أهل الجنة - على قنطرة بين الجنة والنار ، حيث يُقتص لبعضهم من بعض ، فلا يدخل الجنة من كان عنده لأخيه مظلمة حتى يقتص منه وتطيب نفوسهم على بعض ، وإذا دخل أهل الجنة الجنة ، ودخل أهل النار النار، جيء بالموت على صورة كبش فذبح بين الجنة والنار ، وأهل الجنة والنار ينظرون ، ثم يقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ؛ فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة من شدة الفرح ، ولو أن أحدًا مات حزنا لمات أهل النار.